

تداولية أفعال الكلام في سورة يوسف ﷺ

Deliberative Acts Of Speech In Surah Yusuf (As)

م. د. إشراق كامل كعيد

جامعة النهرين / كلية العلوم السياسية

Researcher: Ins. Dr. Ishraq Kamel

Workplace: Nahrain University / College Of Political Science

الملخص

الخطاب القرآني؟ تظهر أهمية البحث بوصفه إطلالة معرفية على النظرية التداولية والتواصلية في جانبها النظري والإجرائي، وتبدو أهدافه في إبراز النص القرآني مرجعا مناسباً للقراءة التداولية للحوار أو فن المحادثة المتخيلة.

Summary:

The deliberative theoretical semiotics components Examines the relationship between signs and users interested and have the effects in the production of oracles and interpreting the laws of language, derived essentially from the philosophy of language, particularly against acts of speech theory, and monitored in Quranic discourse we take the story of Prophet Yusuf (AS) area applied, drawing on the analytical descriptive approach, we have taken means procedural analysis, Vqdinma yet provided input to clarify the dimensions of the subject, and then we divided the study on two sections, the first such theoretical framework was entitled (actions speak between origination and endoscopy), and the second that the procedural framework was entitled (acts of speech in Surah Yusuf), and then search Khtmana conclusion offered in the most important results, and finally study the list of sources.

تعد التداولية من مكونات النظرية السيميائية، فتدرس العلاقة بين العلامات ومستعملاتها وتهتم بقوانين اللغة وما يكون لها من آثار في إنتاج المنظومات وتفسيرها، واستمدت جوهرها من فلسفة اللغة ولاسيما من نظرية أفعال الكلام، ولرصدها في الخطاب القرآني نتخذ قصة النبي يوسف عليه السلام مجالا تطبيقيا، وبالاكتفاء على المنهج التحليلي الوصفي، الذي اتخذناه وسيلة إجرائية للتحليل، فقد منّا بعد المقدمة مدخلا لتوضيح أبعاد الموضوع، ومن ثم قسمنا الدراسة على مبحثين، الأول مثل الإطار النظري وكان بعنوان: (أفعال الكلام بين النشأة والتنظير)، والثاني كون الإطار الإجرائي وكان بعنوان: (أفعال الكلام في سورة يوسف)، ومن ثم ختمنا البحث بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج، وأخيرا قائمة بمصادر الدراسة.

تنطلق الدراسة من تحديد إمكانية تحليل الخطاب الروائي ضمن المقاربة التداولية التي تهدف للتواصل والاتصال بقراءة دلالاتها وبيان مدى ملائمة المقولات التداولية للتحليل الروائي عبر اكتشاف قواعد اشتغالها عن طريق توظيف آليات المنهج التداولي في تحليل التفاعل الكلامي في المحادثات والتواصل الحوارية، فحددت الباحثة مشكلة البحث بالسؤال، هل نستطيع دراسة الخطاب القرآني وفقا للمنهج التداولي؟ أو ما البعد التواصلية والحوارية في

في سورة يوسف) ومن ثم ختمنا البحث بخاتمة
تلتها قائمة بمصادر الدراسة.

المقدمة

* * *

تعد التداولية نظرية استعمالية تدرس اللغة المنطوقة، وبانتقالها من مجال اللغة إلى الأدب صارت تنعت بالتداولية الأدبية فأصبح موضوعها دراسة النصوص وتحليلها، وتنماز التداولية بالتعدد ولها علاقات مع نظرية القراءة والتواصل وتحليل الخطاب ونظرية أفعال الكلام التي سنعتمدها في تحليل النص القرآني والمتمثل في سورة يوسف التي وقع اختيارنا عليها لما تشتمله من قصص وأخبار الأمم السابقة، ولأنها مدونة خطابية غنية بالقضايا التداولية وأهمها نظرية أفعال الكلام.

تنطلق دراستنا من تحديد إمكانية قراءة النص القرآني بوصفه نموذجاً للتعبير عن الاستعمال اللغوي عبر قراءة المعاني والدلالات، وتتركز مشكلة الدراسة في بيان أهمية نظرية أفعال الكلام ومدى كفايتها لقراءة النص القرآني عبر عملية التحليل واكتشاف قواعد الاشتغال، وتظهر أهداف البحث في إبراز النص القرآني مرجعاً مناسباً للقراءات النقدية والتحليلية المختلفة، فاعتمدنا في دراستنا على المنهج التداولي وبطرائق التحليلي الوصفي لأنه الأنسب للدراسة، فقدمنا بعد هذه المقدمة مبشرين؛ كان الأول بعنوان: (التداولية بين النشأة والتنظير والتطور) وضحنا فيه المصطلح ونشأته وتطوراته عالمياً وعربياً، وتحدثنا عن أفعال الكلام وتطورها، وجاء المبحث الثاني ليدرس (أفعال الكلام

المبحث الأول

التداولية بين النشأة والتنظير والتطور

١- التداولية المصطلح والنشأة.

يختلف الباحثون حول المصطلح الانجليزي (pragmatique) فيكتفي بعضهم بتعريبه إلى البراغماتيك أو براجماتية، وبعضهم الآخر يترجمه إلى (النفعية والذرائعية والمقامية والسياقية والوظيفية والتداولية)، فالمصطلح متنوع التسميات، ولكن التسمية الأكثر شيوعاً هي التداولية، ويعد الباحثان (د. طه عبد الرحمن ود. أحمد المتوكل) أول من استعمل المصطلح في اللغة العربية^(١)، ويفضل (د. جميل حمداوي) هذا المصطلح، واتفق معه في ذلك، لشيوعه بين الدارسين في ميدان اللسانيات من جهة؛ ولأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول بين الأطراف المتحاورة من جهة أخرى^(٢). ويجد الباحثون صعوبة

في تحديد تعريف جامع ومانع لها، لأنها تنماز بالشمولية^(٣)، وتعنى بالتواصل وتتعامل مع المعاني التي أهملها علم الدلالة، وتحاول الإجابة عن الأسئلة، من يتكلم، ولماذا، وماذا يقول، وماذا نصنع عندما نتكلم^(٤).

تعني لفظة تداول لغة التناقل والتحول، والتداولية اصطلاحاً هي «مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات، ومتساوقة في النظر إلى اللغة بوصفها نشاطاً يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد، وعلى الرغم من عدم الوضوح الذي يكتنف التداولية فإن مجمل الأفكار والملاحظات والتساؤلات- التي لم تتمكن المدارس اللسانية والبنوية منها من الإجابة عنها- قد وجدت سبيلها في هذا الاتجاه»^(٥)، فهي تنظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة خطابية تواصلية اجتماعية، مكرسة لإنتاج المعنى

(٣) ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية: ت، محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ١٩٩٢: ١١.

(٤) ينظر: علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٠: ٥٦-٥٧.

وينظر: عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: أفريقيا الشرق، المغرب، ط ١، ٢٠٠٦: ٦١.

(٥) د. مؤيد عبيد: التداولية النشأة والمفهوم: مج أقلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع ٥، أيلول، تشرين الأول، ٢٠٠٨: ٣٥.

(١) ينظر: محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي: دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط ١، ٢٠٠٦: ١١.

وينظر أيضاً: عبد الحكيم سحالية: التداولية النشأة والتطور: www.mohamedrabeea.com/books/book1_18504.pdf.

(٢) ينظر: جميل حمداوي: المقاربة التداولية في الأدب والنقد:

<http://almothaqaf.com/index.php/qa-daya2009/58914.html>

فلاسفة اللغة إرهاباتها الأولى^(٥)، ويتضح إطارها في دراستها للعلاقة القائمة بين العلامة ومستعملها وتحدد قيمة العلامة عبر مصلحة من يتداولها، أي دراسة البعد العملي للمعنى، وتهدف إلى جذب اهتمام الباحثين إلى أهمية تفسير المخاطبات الواقعة فعلا والأشكال العلاماتية المتداولة؛ لذلك وصفت بأنها فهم اللغة الطبيعية وبهذا استقلت عن الفلسفة البرغماتية التي كانت تعد الموجه والرافد الأساس لها^(٦).

بدأ الاهتمام بالتداولية مع الفيلسوف الأمريكي (بيرس) الذي ربطها بالمنطق والسيما، وعدّها البعد الثالث من أبعاد السيمياء، وهي عنده وسيلة لنقل الواقع والمعرفة ووسيلة للاتصال، بينما يرى الفيلسوف (موريس) أنها تدرس كيفية تفسير المتلقي للعلامات عبر البنى النحوية والتركيبية للكشف عن دلالات المتكلم ومقاصده في دراساتهم للغة الطبيعية، وقام الفيلسوف النمساوي (فيتغنشتاين) بإسقاط محور الفلسفة التحليلية على اللغة، فكانت البداية لتطورها، وتبنى عمله هذا فلاسفة مدرسة أوكسفورد أي (جون أوستن، وجون سيرل، وبول غرايس)، إذ جعلوا حقل فلسفة اللغة

والدلالة والعلامة في هذه الأطر^(١). وهي «حقل لساني يطرح إشكاليات معقدة من حيث حدوده وفرضياته ومجالاته وأدواته، وهي بلا شك حقل ملتبس وغائم فيه كثير من التعميم والغموض»^(٢).

هنالك تعريفات عدة للتداولية، فعلى سبيل المثال، يرى (فيليب بلانشيه) أنها «مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلازم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية الحديثة والبشرية»^(٣)، ويعرفها الجيلالي دلاش «تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث»^(٤).

٢- تطور التداولية غربا وغربا.

ظهرت الدراسات التداولية في أمريكا في القرن (١٩) م، وتطورت بعد الحرب العالمية الثانية، فنشأت وتطورت عبر حقل الفلسفة، فكانت آراء

(١) عبد الستار جبر: محاولة في مقارنة تداولية: مع أقلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع ٥، أيلول، تشرين الأول، ٢٠٠٨: ٧١.

(٢) عبد العزيز إبراهيم: التداولية إشكالية التعريف ومقاربة التمثيل: مع أقلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع ١٤، كانون الثاني، شباط، آذار، ٢٠١٢: ١٥.

(٣) فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ت، صابر حباشة، دار الحوار اللادقية، سوريا، ٢٠٠٧: ١٨-١٩.

(٤) الجيلالي دلاش: مصدر سابق: ١٦.

(٥) ينظر: أ. راضية خفيف بو بكرى: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقارنة نظرية: مع، الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع ٣٩٩، تموز، ٢٠٠٤: ٦.

(٦) ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٣، ٢٠٠٠: ١٦٧-١٦٩.

والقرطاجني وغيرهم^(٣)، فعرف نقادنا القدامى كثير من المقولات المتعلقة بتقسيمات الكلام والأفعال الكلامية ولاسيما في بحثهم عن المعنى، وفي تمييزهم بين موضوعات (الخبر والإنشاء) على وفق معيار الصدق والكذب، وأيضاً في بحثهم عن مقاصد المتكلم ومطابقة الكلام لمقتضى الظاهر وما خرج عنه والمقام وغيرها^(٤). ولأن التداولية تقوم على التواصل بين المتحاورين فقد عرفها الجرجاني عندما حدد معاني الكلام بالمباشرة وغير المباشرة، ويقصد بالأولى التي تفهم من بنية الجملة أو من ظاهر الكلام، ويقصد بالثانية التي لا تفهم إلا عبر استحضار السياق ومعرفة قصد المتكلم لأنه يعني أو يقصد أكثر مما يقول أحياناً^(٥).

درس الباحث (باديس لهويمان) علاقة البلاغة بالتداولية فرأى أن البلاغة تدل على الإبلاغ وتعالج «كيفية التأثير في الآخر وإقناعه وبيان المقاصد التي يهدف إليها الباحث إلى تحقيقها وهذا يعد من

(٣) ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني: ت، محمود محمد شاكر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٥: ٤٠-٤٢، وينظر أيضاً: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٥: ١٧٢. وينظر أيضاً: د. رضوان الرقبي: التداولية المفهوم والتصور (٣): صحيفة المثقف، ع، ٣٢٠٦، ١٦/٦/٢٠١٥.

(٤) ينظر: عبد القاهر الجرجاني: مصدر سابق: ١٧٣. وينظر أيضاً: د. رضوان الرقبي: مصدر سابق.
(٥) عبد القاهر الجرجاني: مصدر سابق.

العادية نواة لتأسيس التداولية^(١).

تقسم التداولية، بتصور الباحث هانسون، على ثلاث درجات هي: تداولية الدرجة الأولى وتسمى بنظرية الحديث، وتداولية الدرجة الثانية وتسمى بقوانين الخطاب، وتداولية الدرجة الثالثة وتسمى بنظرية أفعال الكلام وتنطلق من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة عن المتكلمين ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية^(٢)، وهذه الدرجة هي الأهم في بحثنا لأنها النظرية التي نبغي تطبيقها في دراستنا.

يشير كلامنا المذكور في أعلاه إلى نشأة التداولية وأفعال الكلام وتطورها في الغرب، أما عربياً، فيرى الباحثون العرب بوجود التداولية الغربية المعاصرة في تراثنا اللغوي والبلاغي والنقدي والأصولي ولكن بمصطلحات غير محددة وبطريقة غير منضبطة بصورتها النظرية والإجرائية الحالية، فتصدي الباحثون لدراسة التراث بحثاً عن جذورها، أو لإثبات وجودها لدينا، فتوصلوا إلى ورودها مبثوثة في صور وإشارات ومعالجات متفرقة في ثنايا الكتب العربية، ويمكن الاستدلال على وجود بعض مفاهيمها في كتابات الجاحظ والجرجاني

(١) ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي: مصدر سابق: ١٦٧-١٦٩.

(٢) ينظر: د. عمر بلخير: مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية الخطاب المسرحي نموذجاً: <http://insaniyat.revues.org/9668>

صميم البحث التداولي^(١).

ويرى الباحث (هشام الخليفة) «أن العرب قد عرفوا التداولية بكل أبعادها، وكانت نظريتهم في هذا الإطار متكاملة، لكنها متناثرة في كتب أصول الفقه وكتب علماء الكلام واللغويين والبلاغيين (..) وأن المكتشفين الأوائل لها هم علماء الأصول»^(٢)، ويعد مصطلح المقام «من أبرز المفاهيم التي ارتبط استعمالها بالبلاغة (..) وأساساً منهجياً متيناً لمباحث بلاغية كثيرة مثل: التقديم والتأخير، وأضرب الخبر، وأساليب التوكيد والنفي وغيرها، مما اعتبر أداة إجرائية عليها التعويل في تحليل النصوص وتأويلها (..) وفي الدرس اللساني المعاصر نال مصطلح المقام الاهتمام البالغ خاصة ضمن الاتجاه الوظيفي التداولي، وأخذ أبعاداً أعمق في مسارات التحليل؛ في علاقة اللغة بالاستعمال وبالدلالة»^(٣). ويعد الباحثان (د. مسعود صحراوي، ود. أحمد المتوكل) من أهم من درس هذا الاتجاه وأضاف فيه.

(١) ينظر: باديس لهويميل: مصدر سابق: ١٦٥-١٦٦.

(٢) د. حميد حسون: التداولية بين العرب والغرب:

http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/05/blog-post_9323.html

(٣) إبراهيم بن عبد الرحمن براهمي: دلالة مصطلح المقام بين الدرس البلاغي العربي والتصور الوظيفي التداولي المعاصر:

<http://brahmiblogspotcom.blogspot.com>.

وينظر أيضاً: صابر الحباشة: الحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب البلاغي: مج ثقافات، ٢٠١١: ٢٠٥.

٣- أفعال الكلام بين النشأة والتنظير.

نشأت نظرية أفعال الكلام أولاً في النقاش الفلسفي الذي ساد جامعة أوكسفورد في الأربعينيات حول صلاحية اللغة العادية بوصفها أداة للتعبير عن القضايا الفلسفية والمنطقية على متزعمين الدعوة إلى اللغة المثالية فجاءت نظرية الفيلسوف (جون أوستن) رداً لموقف الفلاسفة الوضعيين، فاللغة عنده ليست مجرد أداة للإخبار والوصف بل هي وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه، فميز بين الاستعمال الاعتيادي للغة والاستعمال الخاص الذي مثل له بالكتابة الشعرية والنثرية الإبداعية^(٤).

فوضع أوستن مصطلح الفعل الكلامي في محاضراته التي نشرها بعد وفاته تلميذه سيرل بعنوان (كيف تفعل الأشياء الكلمات)، ويقصد بالفعل الكلامي «كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثري وهذا يعد نشاطاً مادياً ونحوياً يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراضاً إنجازية مثل الطلب والأمر والوعد والوعيد وغايته تأثيرية لرفض أو قبول المتلقي ومن ثم انجاز شيء»^(٥)، أو هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي

(٤) ينظر: د. رخرو أمحمد: التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر:

www.mohamedrabee.com/books/book1_272.docx(٥) د. عبد الزهرة إسماعيل: الفعل الكلامي في القرآن الكريم دراسة في قصة إبراهيم عليه السلام: مج، الباحث الأكاديمي، عدد خاص بعنوان (السيمائية علم المستقبل): ع ٢٤-٢٥، نيسان - أيلول، ٢٠١٤: ١٥٥.

٢- الفعل المتضمن في الكلام: وهو عمل ينجز بالقول، أو القيام بفعل ضمن قول شيء ما، ويسمى الفعل الإنجازي وهو الأهم في هذه النظرية، لأنه يربط بين قصد المتكلم ومعرفة السامع لهذا القصد، ويحدد الغرض المقصود بالقول، مثل صيغة الأمر في قولنا: (اقرأ الكتاب الجديد).

٣- الفعل الناتج عن الكلام: وهو ما يتركه الفعل الإنجازي من تأثير على السامع سواء أكان هذا التأثير جسدياً أم فكرياً^(٣)، فغاية المتكلم حمل السامع على اتخاذ موقف ما أو التأثير فيه أو معرفة رد فعله عن طريق الإقناع أو التضليل أو الإرشاد والتثبيط^(٤)، وتحضر هذه المستويات الثلاثة للفعل الكلامي جميعها في الوقت نفسه وبدرجة متفاوتة وهي التي تجعل هذا الفعل الكلامي كاملاً، ومن ثم قسم أوستن الأفعال الكلامية على خمسة أصناف هي:

١- الحكميات: وتعني إطلاق إحكام على واقع أو قيمة بما يصعب القطع به مثل: فهم، وحسب، وحلل، وحذف.

٢- الإنقازيات: وتقوم على استعمال الحق أو القوة، مثل: عين، واستقال، وأمر، ونهى، وصوت.

٣- الوعديات: وهي إلزام المتكلم القيام بفعل معين، مثل: وعد، وأقسم، وراهن، وعقد، وأبرم.

إنجازي تأثيري، ويعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعال قولية لتحقيق أغراض إنجازية مثل الطلب والأمر، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي مثل الرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل تأثيري أي يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعياً أو مؤسسياً، ومن ثم إنجاز شيئاً ما^(٥). ويؤكد (فان دايك) أن الاستعمال اللغوي للكلام هو «إنجاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفسه وعلى هذا توجد أحداث كثيرة ننجزها من خلال نطق جملة أو نص ما، أي باللغة: التهديد والرجاء والزعم والسؤال والنصح والالتهام والتبرئة والتمني والشكوى»^(٦).

يرى أوستن أن اللغة لا تنقل مضامين مجردة ونمطية بل تختلف باختلاف السياق والمتكلم، وأن الأفعال اللغوية تعكس نمطاً اجتماعياً أكثر مما تعبر عن الصدق أو الكذب، وليست كل الجمل خبرية بل هناك جملاً تستعمل لتنجز أفعالا عبر القول، وأكد إننا ننجز أفعالا عبر القول وقسمها على ثلاثة أنواع وهي كالآتي:

١- فعل الكلام: وهو إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب وذات دلالة تحمل في طياتها حمولات قضوية وإخبارية، أي تشتمل على مستوى صوتي وتركيبى ودلالي، مثل: (أشكرك يا أحمد).

(١) ينظر: تداوليات: موسوعة ويكيبيديا:

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

(٢) فان دايك: علم لغة النص مدخل متداخل الاختصاصات: ت، سعيد حسين بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ١١٨-١١٩.

(٣) ينظر: الجيلالي دلاش: مصدر سابق: ٢٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤٠.

وينظر أيضاً: طالب سيد هاشم الطبطباي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٤: ٨-١١.

- ٤- السلوكيات: إي الإفصاح عن سلوك أو سيرة المتكلم، مثل: هنا، وشكر، ومدح، ودعا.
- ٥- التنبيهات: وتوضح علاقة أقوالنا بالمحادثة، مثل: اثبت، واعترض، واستنبط، وصنف، ووصف، وأجاب^(١).
- طور سيرل نظرية أوستن بوصفه الفعل الإنجازي الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، ويرى أن للقوة الإنجازية دليلا يوضح لنا نوع الفعل الإنجازي المؤدى عبر النبر والتنغيم وصيغ الفعل، ووضع شروطا لملائمة الفعل الكلامي وقسمه على أنواع هي (الإخباريات، والتوجيهات، والتعبيرات، والاعلانيات، والالزاميات)^(٢)، وميز بين الأفعال الإنجازية فقسمها على الحرفية أو المباشرة، والأفعال غير الحرفية أو غير المباشرة، وهو يرى أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تبقى ملازمة لها في مختلف المقامات، أما الأفعال غير المباشرة فترجع القوة فيها إلى قصد المتكلم وخصوصية المقام ولا تظهر إلا فيه^(٣)، كقولنا: هل تذهب إلى المكتبة؟ فالجملة بها قوة إنجازية مباشرة هي الاستفهام وقوة إنجازية غير مباشرة هي الطلب،

* * *

(١) ينظر: د. رضوان الرقبي: النظرية التداولية المفهوم والتصور

(٢): صحيفة المثقف: ع ٣٢٠٤، ١٤ / ٦ / ٢٠١٥.

وينظر أيضا: د. عبد الزهرة إسماعيل: مصدر سابق: ١٥٦.

(٢) ينظر: طالب الطبطينائي: مصدر سابق: ٣٠-٣٥، وينظر أيضا: د. هاجر مدقن: آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي:

<http://manifest.univ-ouargla.dz/index.php>

(٣) ينظر: محمود احمد: مصدر سابق: ٦٠.

المبحث الثاني

أفعال الكلام في سورة يوسف

١- حول النص القرآني

يتضمن النص القرآني مقاصد سياقية متنوعة فكل ما يوجد فيه يدل بشكل من الأشكال على أدوار تداولية ومعاني مباشرة وغير مباشرة، فليس فيه ما هو زائد، بل ترتبط الدلالة بالمعاني السياقية والدلالات الظاهرة بالمضمرة، فالنص القرآني ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحداث، بل يهدف عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية إلى تغيير وضع المتلقي أو تغيير نظام معتقداته أو سلوكه عن طريق ثنائية افعل ولا تفعل^(١).

تندرج سورة يوسف تحت خطاب عام هو القرآن الكريم، وتحتل السورة الرقم (١٢) في ترتيب المصحف، إذ نزلت بعد سورة هود وقبل سورة الحجر، وآياتها (١١١)، وهي من السور المكية ماعدا الآيات (١، ٢، ٣، ٧) فمدنية. وتحمل السورة بعدين: الأول تعريفني عبر الأخبار بقصة وسيرة النبي يوسف ﷺ ودلالات حياته ورسالته في قومه، وهي من أنباء الغيب لتأكيد نبوة الرسول والوهمية الخالق، والبعد الثاني مستقبلي عبر التأثير في المسلمين من زمنهم وإلى الزمن الحاضر لاستذكار آيات القرآن والعمل

بتوجيهاته، فالهدف من السورة وصف الماضي عبر عملية القص، والطموح إلى تغيير الواقع والحاضر عن طريق الأفعال الكلامية التي تذكر بالوعيد واليوم الآخر وفيها ترغيب للمؤمنين وترهيب للمشركين.

تظهر الأحداث الكلامية في القرآن الكريم بوصفها شاهدا على الإحداث الماضية والحاضرة والمستقبلية، ويكتسب قوته الإقناعية وفعالته التداولية من خاصيته السردية، فقيمتها الإنجازية لا تتحدد بزمن أو مكان معين وذلك لأنه يكتسب صفة الخلود والقداسة لارتباطه بالذات الإلهية القائلة له فيصلح بذلك للفضاءات كافة.

يعتمد سرد النص القرآني على التلميح والإيجاز والتكثيف وهي من متطلبات تداولية الكم الخطابي، فالسورة أشبه بقصة ذات بناء دائري تنتهي عند نقطة بدايتها بتحقيق الرؤيا التي قصت في أولها وقالت بسجود إخوة يوسف له، بينما تنتهي القصة عندما حمد النبي يوسف ربه لتحقيق رؤيته ونبوءته معا، وتنتهي السورة كاملة بالوعظ والتذكير للرسول والمسلمين للتوجه لعبادته سبحانه ونبذ الشرك وعبادة الأصنام.

تتراوح الأفعال الكلامية في السورة بين المباشرة أي الصريحة، وغير مباشرة، وإن غلب الأخير عليها، فتتضمن السورة معاني إنجازية ضمنية يمكن فهمها من المقام، وإن أغراضها الإنجازية متعددة حسب السياق ومقاصد الخالق سبحانه، وسبب كثرة المعاني الإنجازية المضمنة أو غير المباشرة على المعاني الصريحة أو المباشرة هو ثقة المرسل

(١) ينظر: جميل حمداوي: مصدر سابق .

مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ^(٣)، إذا استغرقت كل السورة إلا بعض الآيات التي خرجت عن محتوى القصة إلى خطاب المرسل الثاني أي (الرسول)؛ لأن الهدف من القص هو تقديم العبر للناس لعلهم يتعظون ويتركون الشرك ويهتدون إلى الإسلام، وفيها أيضا أمر بالدعوة في سبيل انجاز أفعال التكلف التي بدت في خطابه، سبحانه، لرسوله في قوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(٤)، فتاتي الدعوة بالتذكير والقص، ويعد كلاهما سبيلا للرشاد والهداية.

ب- الفعل المتضمن في الكلام: ويسمى بالفعل الإنجازي ويتعلق هذا النوع من الفعل بالمتكلم وهو وحده المعني في الاتصال فيقول المتكلم شيئا يحاول إيصاله للسامع، فإذا افلح فانه أدى فعلا انجازيا وإفلا، فتتجسد الأفعال الكلامية على سبيل المثال، في قوله تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ^(٥)، فالنبا هو الخبر ذو الفائدة العظيمة ويحصل به علم شيء ما، وأن فعل الكلام يتجسد في الآية نفسها، والفعل المتضمن في الكلام هو (نوحيه) ومعناه المباشر التبليغ، ومعناه الإنجازي أو غير المباشر الإرشاد والهداية للناس، وفاعل التكليف بالكلام هو (الرسول)؛ لان الخطاب موجه منه سبحانه لرسوله

(الله) ﷻ، بكفاءة وقدرة المتلقين للقرآن على الفهم والتأويل، ولاسيما أن معجزة الرسول ﷺ في زمانه هي كلامية، لأن العرب الذين تحداهم الخالق إن يأتوا بمثل القرآن كانوا في قمة الفصاحة والبيان آنذاك، وكان غرضه سبحانه من التحدي إثبات الدعوة للإسلام عبر الإقرار بالوهية الخالق ونبوة رسوله ﷺ بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، وبما أورده من أخبار الأمم السالفة، وقصص الأنبياء كما في قصة النبي يوسف عليه السلام.

٢- تقسيم أوستن لأفعال الكلام.

قسم أوستن أفعال الكلام على ثلاث أصناف (الفعل الكلامي، والفعل المتضمن في الكلام، والفعل التأثيري)^(١)، وهو ما سنعتمده في تحليل السورة وبالشكل الآتي:

أ- فعل الكلام: ويسمى بفعل القول فنجده على سبيل المثال، في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيِّهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ^(٢)، ففعل القول هو الآية نفسها و(إني رأيت) هو محتوى الكلام أي القصة نفسها التي سردها المرسل (الله)، وبدأت من الآية المذكورة أنفا، وتنتهي القصة بقوله تعالى: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي

(١) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤: ١٥٥.

(٣) الآية: ١٠١.

(٤) الآية: ١٠٨.

(٥) الآية: ١٠٢.

(٢) الآية: ٤.

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ^(١)، أي ما كنت عند أخوة يوسف عندما القوه في الحب، وهذا دليل على نبوة الرسول عليه السلام، فله غايات وأهدف يريد تحقيقه عن طريق سرده لهذه القصص، كقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ^(٢)، وأيضا قوله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ^(٣)، فالتأثير في المتلقين عبر إقناعهم بصدق القصص القرآني مما يقودهم للإيمان بالإسلام ورسوله وهذا هدف الرسالة السماوية والقرآن. نجد التأثير في المتلقين، أيضا، في قوله تعالى: {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ^(٤)، يتعلق الفعل التأثيري بالسامع ويؤثر عليه كما في الأفعال (أكبرنه وقطعن)، أي في تقطيع النسوة لأيديهن عند رؤيتهن للنبي يوسف، وهن يحسبن إنهن يقطعن الطعام؛ لأن عقولهن قد ذهلت عند رؤيته، فكانت امرأة العزيز تقصد من تلك الدعوة فضحهن بتقطيع أيديهن كما فضحنها بالكلام عنها^(٥).

بتبليغ الناس الرسالة الإلهية، فالمرسل الأول أو المتكلم (الله) جَلَّ جَلَالُهُ والمرسل الثاني (الرسول) الذي مهمته تتحدد بإيصال النبأ إلى الناس، وهذا يدل على غياب الرسول عن مضمون النبأ الذي يحيلنا إلى مرجع ماضي وهو قصة النبي يوسف عليه السلام، والمرسل الثاني لا يخبر إلا عن طريق (الله) جَلَّ جَلَالُهُ، وفي التلاوة لا يتبع إلا قول الوحي لذا يتم التركيز على الرسول؛ لأنه المسؤول عن الإنباء وتلاوة القرآن عن الوحي؛ لذلك ركز سبحانه الخطاب عليه في أول السورة وآخرها؛ لأنه الوسيط بينه وبين العباد.

ج- الفعل الناتج عن الكلام: ويسمى بالفعل التأثيري، ويقصد به الفعل الذي يترك أثرا على المتلقي، فيظهر تواصل المتلقي مع النص القرآني عبر الوظيفة التأثيرية التي تعد، برأي الناقد (رومان جاكسون)، إحدى وظائف اللغة وتقوم على تحديد العلاقات الموجودة بين المرسل (الله) جَلَّ جَلَالُهُ والمتلقي (الناس)، بهدف تحريضهم وإثارة انتباههم وإيقاظهم عبر الترغيب والترهيب، فتتحقق بذلك الوظيفة الذاتية للتواصل. يسير الفعل الإنجازي بالتوازي مع الفعل التأثيري المرتبط بالمتلقي، فالقرآن كتاب هداية وإصلاح وهدفه تغيير وضع المتلقين له ومعتقداتهم عبر عملية الحجاج والبراهين والقصص والتذكير والوعظ، فتنتقل التوجيهات من (المتكلم /

(١) الآية: ١٠٢.

(٢) الآية: ١١١.

(٣) الآية: ٣.

(٤) الآية: ٣١.

(٥) ينظر: ابن الجوزي: زاد المسير في علوم التفسير، ج ٤،

الله) إلى (السامع / الناس) بهدف فعل شيء ما بنية النص أو الاستعطاف أو الإقناع أو الأمر، فيبدو الفعل التأثيري في خطابه سبحانه لرسوله عليه السلام بقوله تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

٣- تقسيم سيرل للفعل الإنجازي.

يعد الفعل الإنجازي الأهم بنظر سيرل؛ لأنه الأساس في إدراك محتوى النظرية، وأهدافها في فهم عملية التواصل الإنساني الشفاهي والنصي معاً، لذا اهتم بتوضيح معانيه الصريحة والضمنية ودلالاته، وذلك عبر تطويره لتقسم أوستن؛ لذا سنتبع تقسيم سيرل المتعلق بأصناف الفعل لانجازي وهي (التوجيهات، والإخباريات، والسلوكيات، الايقاعات، والعرضيات) وعلى النحو الآتي:

أ- التوجيهات: وهي من الأفعال الإنجازية وتسمى الطلبات أو أفعال الحكم، وغرضها حث السامع لفعل شيء ما أو التأثير فيه^(١)، وتظهر القوة الإنجازية فيها عبر (الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء) وسنوضحها بالشكل الآتي:

١- الأمر: هو طلب على وجه الاستعلاء والإلزام ويأتي غالباً بصيغة الأمر، كقوله تعالى: {وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} (٣)، فالفعل (ائتوني) خرج من معنى الأمر إلى معنى انجازي ضمنى هو الطلب والالتماس وهو ما يفهم من سياق الكلام، وقد يخرج إلى معنى القسم، كقوله تعالى: {قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ

وَكَيْل} (٣)، الفعل (لتأتني به) خرج من الأمر إلى القسم، أي تقسمون على إرجاعه وهذه اللام جواب لمضمر معناه (والله لتأتني به) (٤).

٢- النهي: هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويأتي بصيغة المضارع المقرون بلا الناهية الجازمة، كقوله تعالى: {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِين} (٥)، خرج النهي (لا تقصص) إلى معنى النصيح والإرشاد وهو ما يفهم سياق الكلام ومقصد المتكلم، وكذلك في كقوله تعالى: {وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} (٦)، وكقوله تعالى: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ} (٧).

٣- الاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل أو هو الاستخبار أو طلب الفهم^(٨)، وأدواته الهمزة وهل، وله أسماء عدة يطلب بها التصور مثل من وكيف وما وغيرها، وقد يخرج الاستفهام إلى معاني أخرى تفهم من سياق الكلام مثل: النفي، والتقريب، والإنكار، والتنبيه، والوعيد، والأمر،

(٣) الآية: ٦٦.

(٤) ينظر: الكرباسي: إعراب القرآن: ج ٤، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣: ٢٥٣.

(٥) الآية: ٥.

(٦) الآية: ١٠٤.

(٧) الآية: ٥٢.

(٨) ينظر: د. احمد مطلوب، د. كامل حسن البصير: البلاغة والتطبيق: مطابع بيروت الحديثة، ط ١، ٢٠٠٩: ١٣١.

المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٤: ٢١٩.

(١) ينظر: الطبطبائي: مصدر سابق: ٣١.

(٢) الآية: ٥٩.

وَالنَّهْيُ^(١)، كقوله تعالى: {قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيُصْبرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}^(٢)، (أإنك) لا يرد بها الاستفهام، فجاء سؤال أخوة يوسف له بسبب تعجبهم من الحال التي أصبح عليها ولعدم معرفتهم إياه، فسؤالهم خرج من معنى طلب الإثبات أو النفي إلى معنى التعجب، وهو المعنى المتضمن بالكلام، وقد يخرج الاستفهام إلى معنى الإرشاد كقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ}^(٣)، فخرج (أفلم) إلى معنى الوعظ والإرشاد؛ لأن المراد ليس السؤال عن عاقبة الكفار أنفسهم بل تذكير المؤمنين بعاقبة الكفر وهي الهلاك ليتجنبوها، وحمل الاستفهام معنى الوعيد والتهديد للمشركين بالهلاك لكفرهم، ومعنى الترغيب عبر الوعد بالحسنى للمؤمنين لتمسكهم بالإيمان.

يأتي الاستفهام برأي الزركشي، على نوعين هما (التقريري، والإنكاري) فالتقريري يكون لحمل السامع على الإقرار بأمر استقر عند المتكلم، كقوله تعالى: {فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَّا لَا تَعْلَمُونَ}^(٤)، (ألم) لا يقصد بها السؤال، وتفيد اللوم والعتاب - وهو المعنى الضمني

وَالنَّهْيُ^(١)، كقوله تعالى: {قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيُصْبرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}^(٢)، (أإنك) لا يرد بها الاستفهام، فجاء سؤال أخوة يوسف له بسبب تعجبهم من الحال التي أصبح عليها ولعدم معرفتهم إياه، فسؤالهم خرج من معنى طلب الإثبات أو النفي إلى معنى التعجب، وهو المعنى المتضمن بالكلام، وقد يخرج الاستفهام إلى معنى الإرشاد كقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ}^(٣)، فخرج (أفلم) إلى معنى الوعظ والإرشاد؛ لأن المراد ليس السؤال عن عاقبة الكفار أنفسهم بل تذكير المؤمنين بعاقبة الكفر وهي الهلاك ليتجنبوها، وحمل الاستفهام معنى الوعيد والتهديد للمشركين بالهلاك لكفرهم، ومعنى الترغيب عبر الوعد بالحسنى للمؤمنين لتمسكهم بالإيمان.

يأتي الاستفهام برأي الزركشي، على نوعين هما (التقريري، والإنكاري) فالتقريري يكون لحمل السامع على الإقرار بأمر استقر عند المتكلم، كقوله تعالى: {فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَّا لَا تَعْلَمُونَ}^(٤)، (ألم) لا يقصد بها

(١) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ج ٢، تحقيق،

محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٩٧٢: ٢٢٦، وينظر: احمد مطلوب:

١٣٧-١٣٨.

(٢) الآية: ٩٠.

(٣) الآية: ١٠٩.

(٤) الآية: ٨٠.

(٥) ينظر: الزركشي: مصدر سابق: ٣٢٨-٣٣١.

(٦) الآية: ٦٥.

(٧) ينظر: ابن الجوزي: مصدر سابق: ٢٤١.

(٨) الآية: ٩٦.

- للاستفهام- من الأب لأبنائه على فعلتهم بأخيهم.
- ٤- النداء: هو إقبال المدعو على الداعي وأدواته الهمزة وأيا ويا وأي وهيا وغيرها كقوله تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (١)، ودلالة النداء (يا أبت) للتنبيه، وتستعمل الياء لنداء البعيد مسافة وتأتي لنداء القريب للتوكيد، ويكون النداء من الابن إلى الأب (يا أبت) فجاءت (يا) النداء هنا للقريب للدلالة على العلاقة الحميمة بين الأب والابن وما فيها من معاني الحب التي يكنها الأب للابن عندما يناديه لسمع نصائحه ويستجيب لدعوته. وقد تحذف يا النداء كقوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} (٢)، فالأصل يا يوسف. ويعد النداء حقيقيا ويدخل في الكلام المباشر ما لم يخرج عن معناه، فيخرج نداء الله إلى معاني إنجازية غير مباشرة، وهي للدعاء ولاسيما مع لفظ (رب) كقوله تعالى: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} (٣)، رب واصلها (يارب) وجاء النداء ليحقق معنى انجازي وهو الدعاء وهدف الدعاء الشكر لله على نعمه.
- ب- الايقاعيات: وتسمى أيضا الاعلانيات وهي الأفعال المتعلقة بأفعال التعهد التي تنجز بإطار مؤسساتي مثل أفعال المنع والجواز وأفعال العقود وأفعال التذكير القرارات والأحكام، وتحدث تغييرات بمجرد لفظها^(٤)، يقع الفعل في أفعال العقود بمجرد نطقها أي توقع التغيير مباشرة، وهي من التراكيب النحوية المتداولة، كقوله تعالى: {وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَأَنُوفٍ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} (٥)، (شروه) من حروف الأضداد، فنقول شريت الشيء بمعنى بعته، ويتم البيع بتحقيق شروطه ومنها إن يتم عبر التعاقدان، وهما أولاً: السيارة ويقصد بهم الذين باعوا يوسف بعد أن وجدوه في البئر، وثانياً: أخوة يوسف، والمعقود عليه أي يوسف، الرفض لعملية البيع، فمعنى (شروه) المباشر هو البيع ومعناه المتضمن في القول أو غير المباشر هو ومجلس العقد أي زمانه ومكانه وهو مكان بالقرب من البئر، وصيغة العقد وهي القبول أو التعريض والذم.
- جاءت الاعلانيات في القرآن عبر صيغ الوعد الوعيد والتهديد، كقوله تعالى: {قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (٦)، (لا يضيع) معناه المباشر وصف حال المؤمنين، ومعناها الإنجازي وعد بالجنة والثواب للمؤمنين، وقد تتجسد عبر الاستفهام كقوله

(٤) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: مصدر سابق: ١٥٨.

(٥) الآية: ٢٠.

(٦) الآية: ٩٠.

(١) الآية: ٤.

(٢) الآية: ٢٩.

(٣) الآية: ١٠١.

كقوله تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} ^(٥)، (العليم الحكيم) يراد بها إعلان صفات الله للناس وغرضها الإنجازي تذكير بعظمة الله وحث الناس على الإيمان.

ج- الإخباريات: وهي أحد أنواع الفعل الكلامي الإنجازية وتسمى بالمحكيات، فوظيفة الخبر هي الحكاية وهدف الإخبار هو تعريف المتلقي بما لا يعلم لإفادته، والقوة الإنجازية المباشرة للإخباريات هي الوصف والتقرير، إما القوة الإنجازية غير المباشرة لها فهي التمني والترغيب والمدح والذم وغيرها ^(٦)، والفعل الإخباري في القرآن صادق دائما؛ لأنه صادر من (الله) ﷻ، وهذا يضمن للفعل الكلامي المطابقة مع الواقع، فتقوم السورة على قص أخبار وسيرة حياة النبي يوسف ﷺ، وهي من أخبار الأمم السالفة، فبدأت بقوله تعالى: {الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ^(٧)، (الر) هي حروف مقطعة تتضمن فعل كلامي مباشر هو التقرير، وفعل كلامي غير مباشر هو التنبيه على أن القرآن هو كلام الله المعجز ^(٨)، (تلك آيات) يدل

تعالى: {أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} ^(٩)، (أفامنوا) فالغرض الإنجازي للاستفهام ليس السؤال بل التوبيخ والتهديد للمشركون عبر وعدهم بمجيء العذاب، ويأتي أيضا بقوله تعالى على لسان امرأة العزيز للنساء: {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودَنِي عَنْ نَفْسِي فَاستَعْصِمُ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِّنَ الصَّاغِرِينَ} ^(١٠)، (ليسجننه) فيها تهديد ووعيد بالسجن في حال عصيان يوسف لأمرها وهذا ما حصل لاحقا عندما حققت زوجة العزيز وعيدها. ويأتي التهديد بقوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِّنْ نَّشَاءِ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} ^(١١)، (لا يرد) فيها وعد بالثواب للمؤمنين وتهديد بالانتقام من المشركين.

قد يأتي الوعد والوعيد عبر التذييل، ويقصد به التعبير عن المعنى بألفاظ زائدة عنه، وهو ضرب من التأكيد، ويؤدي وظيفة إفهام المعنى وإكماله عند من قصر عن فهمه، وغرضه تأكيد حقيقة، أو الترغيب، أو التهديد، أو التنبيه، وقد يأتي التذييل لذكر فضائل الخالق، وصفاته ^(١٢)، وهو قليل في السورة

(١) الآية: ١٠٧.

(٢) الآية: ٣٢.

(٣) الآية: ١١٠.

(٤) ينظر: محمد مدور: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية: أطروحة دكتوراه، إشراف د. جودي مرداسي: كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ٢٠١٤: ٢٨٨.

(٥) الآية: ١٠٠. وينظر أيضا: ٦ و ٩٠ و ٩٩ و ٨٣ و ٩٨.

(٦) ينظر: محمد مدور: مصدر سابق: ٦٧.

(٧) الآية: ١-٢.

(٨) ينظر: محمد مدور: مصدر سابق: ٧١.

هـ- العرضيات: وتسمى التنبيهات وهي الأفعال التي تهدف إلى الحجاج والنقاش مثل اثبت وبرهن، كقوله تعالى: {قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} وقوله تعالى: {وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ}، وفي قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} ^(٣)، فلا إثبات أو نفي التهمة في الحادثة التي ادعت فيها زوجة العزيز اعتداء النبي يوسف عليه السلام عليها، اتخذوا من القميص دليلاً للتحقيق في قوله تعالى: {ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّىٰ حِينٍ} ^(٤)، فبعد التحقيق والنظر بالأدلة والبراهين، وبعد ثبات ويفتضح أمرها وهذا ما حصل الجرم عليها وبراءة النبي يوسف عليه السلام منه، قرروا وضعه في السجن لنفي التهمة عن الزوجة حتى لا تشوه سمعتها لاحقاً.

* * *

على قوة متضمنة بالقول هي التأكيد على أن القرآن معجزة لن تأتي العرب بمثله أبداً، ووصفه (الله) تعالى بالمبين، لتأكيد أنه حقيقة لا شك فيها، وتدل الآية على فعل كلامي مباشر هو الإخبار، والتقدير، وفعل غير مباشر هو أرشاد المؤمنين؛ لأنها جاءت في سياق مخاطبة الخالق للعرب لأنه تحداهم أن يأتيوا بسورة من القرآن فعجزوا عن ذلك، فالمقام الذي جاءت به الآية هو مقام التحدي والتعظيم لمنزلة القرآن، فهو عربي ومبين ولعل العرب يعقلون منزلته.

د- السلوكيات: وتشمل التعبيرات أو الافصاحيات وتأتي بصيغة الاعتذار، والتمني، والرجاء، والندم وغيرها، كقوله تعالى: {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ}، وقوله تعالى: {قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} ^(١)، وفيها اعتراف الأخوة بندمهم على أخطائهم بحق أخيه، وقبول يوسف اعتذارهم ودعوته الله أن يغفر لهم، وفي ذلك دلالة على السلوك الإيجابي ليوسف أمام سلبية أفعال أخوته، ويظهر الندم كذلك في طلبهم الاستغفار لذنوبهم من أبيهم بقوله تعالى: {قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} ^(٢)، وفيه دلالة على معنى صريح وهو طلب الاستغفار، ومعنى ضمنى وهو الاعتذار عن سلوكهم السيئ وإحساسهم بالندم.

(٣) الآية: ٢٦-٢٨.

(٤) الآية: ٣٥.

(١) الآية: ٩١-٩٢.

(٢) الآية: ٩٧.

الخاتمة

فقط للتعبير عن الحالة النفسية للمتكلمين، ووردت التنبيهات عبر الحجاج والبرهنة لإثبات حقيقة براءة يوسف من التهم المنسوبة إليه وخرجت إلى معاني العرض والتقدير؛ لأنها وردت ضمن الإخبار القصصي لسيرة يوسف.

٥- تتداخل معاني أفعال الكلام الإنجازية، أحياناً، بين المعاني المباشرة، وغير المباشرة، فنجد صعوبة في الفصل بينها، فضلاً عن حملها أكثر من معني في دلالاتها مما يتطلب أكثر من تفسير وتأويل للجملة الواحدة؛ لأن القرآن حمال أوجه.

١- جاء اهتمام فلاسفة الغرب بالتداولية وأفعال الكلام والياتها التطبيقية لأهميتها في تجسيد المعنى انطلاقاً من السياق التداولي وأثره في التواصل وإدراك المعاني المضمنة، ولم تدرس (عربياً) المعاني والمقاصد اللغوية وهي الفاظ تداولية، إلا مع نظرية الأفعال الكلامية في الدراسات الحديثة، وكان ورودها في كتب علماء اللغة والاصوليين العرب القدماء على سبيل الإشارة.

٢- تتراوح أفعال الكلام في سورة يوسف بين الحرفية وهي التي تفهم مباشرة من بنية الكلام، والمضمنة أي التي تفهم من السياق ومقاصد المرسل، وان غلبت المضمنة عليها، وتنماز الأفعال الإنجازية في السورة بشيوع التوجيهات والايقاعات بصورة اكبر من الإخباريات والسلوكيات والعرضيات.

٣- تظهر القوة الإنجازية للتوجيهات عبر صيغ الأمر والنهي والاستفهام والنداء، وخرجت عن المعاني المباشرة لها للدلالة على القسم والتعجب والدعاء والوعد والوعيد والوعظ والإرشاد والتوكيد والتنبيه.

٤- تبدو القوة الإنجازية للايقاعات عبر صيغ الوعد والوعيد والتهديد وألفاظ العقود، وخرجت الإخباريات عن معانيها المباشرة أي الوصف والتقدير إلى معاني إنجازية أخرى مثل التنبيه والتأكيد والوعظ والإرشاد، وجاءت السلوكيات بمعنى الاعتذار والندم

* * *

المصادر والمراجع

- ٨- على آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٠.
- ٩- محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرباسي: إعراب القرآن: ج ٤، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣.
- ١٠- محمود احمد: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط ١، ٢٠٠٦.
- ١١- د. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٥.
- ١٢- ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٣، ٢٠٠٠.
- ب- الكتب المترجمة .
- ١- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية: ت، محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، ١٩٨٦.
- ٢- فان دايك: علم لغة النص مدخل متداخل الاختصاصات: ت، سعيد حسين بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة.
- ٣- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ت، صابر حباشة، دار الحوار اللادقية، سوريا، ٢٠٠٧.
- * القرآن الكريم
- أ- الكتب العربية.
- ١- د. احمد مطلوب، د. كامل حسن البصير: البلاغة والتطبيق: مطابع بيروت الحديثة، ط ١، ٢٠٠٩.
- ٢- أبي الفرج جمال الدين ابن الجوزي: زاد المسير في علوم التفسير، ج ٤، المكتب الإسلامي، بيروت ط ٣، ١٩٨٤.
- ٣- بدر الدين محمد بن عبد الله، الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ج ٢، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٩٧٢.
- ٤- طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٤.
- ٥- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: أفريقيا الشرق، المغرب، ط ١، ٢٠٠٦.
- ٦- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني: ت، محمود محمد شاكر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٤.
- ٧- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤.

- ج- الدوريات والاطاريح .
- ١- باديس لهويمان: التداولية والبلاغة العربية: مج المخبر، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، ع ٢٠١١، ٧.
- ٢- أ. راضية خفيف بو بكري: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقارنة نظرية: مج، الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع، ٣٩٩، تموز، ٢٠٠٤.
- ٣- د. رضوان الرقيبي: النظرية التداولية المفهوم والتصور (٢): صحيفة المثقف، ع، ٣٢٠٤، ١٤ / ٢٠١٥.
- ٤- د. رضوان الرقيبي: النظرية التداولية المفهوم والتصور (٣): صحيفة المثقف، ع، ٣٢٠٦، ١٦ / ٢٠١٥.
- ٥- صابر الحباشة: الحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب البلاغي: مج ثقافات، ٢٠١١: ٢٠٥.
- ٦- د. عبد الزهرة إسماعيل: الفعل الكلامي في القرآن الكريم دراسة في قصة إبراهيم ﷺ: مج، الباحث الأكاديمي، عدد خاص بعنوان (السيمائية علم المستقبل): ع ٢٤-٢٥، نيسان - أيلول، ٢٠١٤.
- ٧- عبد العزيز إبراهيم: التداولية إشكالية التعريف ومقاربة التمثيل: مج أقلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع، ١٤، كانون الثاني، شباط، آذار، ٢٠١٢.
- ٨- عبد الستار جبر: محاولة في مقارنة تداولية: مج أقلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع، ٥٤، أيلول، تشرين الأول، ٢٠٠٨.
- ٩- محمد مدور: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية : أطروحة دكتوراه، إشراف د. جودي مرداسي: كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ٢٠١٤.
- ١٠- د. مؤيد عبيد: التداولية النشأة والمفهوم: مج أقلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع، ٥٤، أيلول، تشرين الأول، ٢٠٠٨.
- د- المواقع الالكترونية.
- ١- إبراهيم بن عبد الرحمن براهيم: دلالة مصطلح المقام بين الدرس البلاغي العربي والتصور الوظيفي التداولي المعاصر: <http://brahmiblogspotcom.blogspot.com>
- ٢- بلا: تداوليات: موسوعة ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- ٣- د. جميل حمداوي: المقاربة التداولية في الأدب والنقد: <http://almothaqaf.com/index.php/qa-daya2009/58914.html>
- ٤- د. حميد حسون: التداولية بين العرب والغرب: http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/05/blog-post_9323.html
- ٥- د. رخوور أمحمد: التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر: www.mohamedrabee.com/books/book1_272.docx
- ٦- د. عبد الحكيم سحالية: التداولية النشأة والتطور:

[www.mohamedrabeea.com/books/
book1_18504.pdf](http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_18504.pdf).

٧- د. عمر بلخير: مدخل إلى دراسة بعض
الظواهر التداولية في اللغة العربية الخطاب
المسرحي نموذجا:

<http://insaniyat.revues.org/9668>

٨- د. هاجر مدقن: آليات تطبيق المنهج
التداولي على النص التراثي:

[http://manifest.univ-ouargla.dz/index.
php/seminaires/archive/facult](http://manifest.univ-ouargla.dz/index.php/seminaires/archive/facult)

* * *